فـتًـى أهـدَى إلـيَّ الـيـومَ حِـبْـراً أُشَـبِّـهُ لـونَـه مـاءَ الـحِـيـاضِ
[١٦٦ب] /كَـتَـبْـنا فـي البَـيـاض بـه فـخِـلْـنا كـتَـبْـنا بـالـبَـيـاضِ عـلـى الـبَـيـاض

(٣٧٥) العَبّاسيّ

يَعْقوب بن إبراهيم بن عيسى بن المَنْصور، أمير المُؤمنين أبي جَعْفر العَبّاسي.

كان أديباً شاعراً. روَى عنه أبو بكر مُحمد بن يَحْيَى الصّوليّ. ومن شِعْره[1]: [من الطويل]

ألا مَـنْ لـقَـلْـبٍ شَـفَّـهُ أَلَـمُ الـوَجْـدِ يـحـنُّ إلـى هِـنْـدٍ ومـا هـو مـن هِـنْـدِ
يـحِـنُّ إلـى هِـنْـدٍ ودونَ لـقـائِـهـا مُـقـارَعَـةُ الأَعْـداءِ فـي القُـرْبِ والبُـعْـد
تَـنـائِـفُ تـيـهٍ أَوْحَـشَـتْ وتـنـازَحَـتْ صُـواهـا بـلا حِـسٍّ لـديـهـا ولا عَـدّ
إذا بَـرَقَـتْ مـن نَـحْـو نَـجْـدٍ غَـمـامـةٌ هفا القَلْبُ وَجْداً واشتياقاً إلى نَجْد

(٣٧٦) القاضي أبو يوسف

يَعْقوب بن إبراهيم بن حَبيب الأَنْصاريّ القاضي، أبو يوسف.

.....

(١) ذكر المرزباني مناسبة القصيدة وطالعها، وأبيات منها ليست هنا.

---

٣٧٥ ـ ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني ٤٤٠.

٣٧٦ ـ ترجمته في: تاريخ البخاري الكبير ٨/ ٣٩٧ (٣٤٦٣)؛ والمعارف ٤٩٩؛ وأخبار القضاة ٣/ ٢٥٤؛ والفهرست لابن النديم ٣٤٤؛ وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩ (٧٥١٠)؛ والكامل لابن الأثير ٦/ ٧٣، ١٥٢، ١٥٩، ٢١٨؛ ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨ (٨٢٤)؛ والجواهر المضيّة ٣/ ٦١١ (١٨٢٥)؛ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥ (١٤١)؛ وميزان الاعتدال ٤/ ٧٤٧ (٩٧٩٤)؛ ومرآة الجنان ١/ ٢٩٧؛ والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٠؛ والنجوم الزاهرة ٢/ ١٠٧؛ وشذرات الذهب ٢/ ٣٦٧؛ وحُسْن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي.

صاحبُ الإمام أبي حَنِيفَة رضي الله عنه. هو مَشْهور في الأَنْصار بأُمّه، واسْمُها حَبْتَة ابنةُ خَوّات الأنصاري. وقد تقدّم ذِكْر جَدّه سَعْد[1] بن حَبْتة الأنصاري في حرف السّين مكانه.

وُلِد بالكوفَة سنة عَشْرة ومِئَة، وتُوفّي سنة اثنتَيْن وثمانين ومئة، يومَ الخميس لخَمْسٍ خلَوْن من شهر ربيع الأول. وقيل غُرّة شهر ربيع الأوّل. وطلَب العِلْمَ سنةَ نَيف وثلاثين. وسمع من هِشام بن عُرْوة، وعَطاء بن السائِب، ويَحْيَى بن سَعيد، ويَزيد بن أبي زياد، والأَعْمَش، وأبي إسحاق الشّيْبانيّ، وحَجّاج بن أَرْطاة، وعُبَيد الله بن عُمَر، وطائِفة. وتفَقّه بأبي حَنيفة حتّى صار المقدَّم من تَلاميذه؛ وتَفَقّه به مُحَمّد بن الحَسن، وهِلال الرَّأي، ومُعَلَّى ابن مَنْصور، وعدَدٍ كثير. وروَى عنه ابنُ سَماعة، ويَحْيَى بن مَعين، وأحمد بن حَنْبَل، وعليّ بن الجَعْد، وخَلْق كثيرٌ.

وكان والِده فقيراً، وكان أبو حنيفة يَتعاهَدُ أبا يوسف بالمئة دِرْهم بعد المئة/ دِرْهم، يُعينُه على طَلب العِلْم. [١٦٧ آ]

وأوّل ما سمِع أحمدُ بن حَنْبل من أبي يوسف، وكان أبو يوسف أَمْيَلَ إلى المحدّثين من أبي حَنيفة. قال ابنُ مَعين: ما رأيتُ في أصحاب الرّأي أثبتَ ولا أحفظَ ولا أصحَّ روايةً من أبي يوسف؛ وقال: أبو يوسف صاحبُ حَديثٍ صاحبُ سُنَّة. وكان بعدما وَلِيَ القضاءَ يصلّي كلَّ يومٍ مِئَتَيْ رَكْعة. قال ابنُ المَدينيّ: ما أُخِذ على أبي يوسف إلّا حديثُه في الحَجْر. وقال محمد بن سَماعة: سمعتُ أبا يوسف يقول في اليوم الّذي ماتَ فيه: اللّهمَّ إنّك تعلمُ أنّي لم أَجُرْ في حُكْمٍ حَكَمْتُ به متعمّداً، ولقد اجتهَدْتُ

.....

(١) الوافي بالوفيات ١٥/ ١٥٤ (٢٠٧).

في الحُكْم بما وافَقَ كتابَك وسُنَّةَ نَبِيّك، وكلّ ما أشكل عليّ جعَلْتُ أبا حَنيفة بَيْني وبَيْنَك، وكان عِنْدي واللهِ مِمّن يَعْرِفُ أَمْرَكَ ولا يَخْرج عن الحقّ وهو يَعْلَمُه.

وقال الفَلّاس: صدوقٌ كثيرُ الغَلط. وقال ابنُ عَديّ: لا بَأْسَ به. وقال أبو حاتِم: يُكْتَبُ حديثُه. قال الشيخ شمس الدّين: وهو أوّل من لُقِّبَ قاضِي القُضاة، وكان عظيمَ الرُّتْبَة عند الرَّشيد؛ قال: وقد أفْرَدْتُ سيرتَه في جُزْءٍ. وقال غيرُه: هو أوّل من غَيَّر لباسَ القُضاة إلى ما هم عليه الآن؛ وكان مَلْبوس النّاس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يَتَميَّزُ أحدٌ عن أحدٍ بلباسه. وقال ابنُ عبد البَرّ في كتاب الانتقاء[1]: إنّه كان يَحْضُرُ [مجلسَ] المحدِّثِ ويَحفظُ خَمْسين ستّين حديثاً، ثم يَقوم فيُمْليها على النّاس، وكان كثيرَ الحَديث. وقال محمّد بن جَرير الطَّبَريّ[2]: تحامَى حديثَه قومٌ من أهْل الحَديث من أجل غَلَبَة الرَّأي وتَفْريعه الفُروعَ [في][3] الأحكام، مع صُحْبته السّلطان وتَقَلّده القَضاء. وقال طَلْحةُ بن محمّد بن جَعْفر: هو أول من وَضَع الكُتُبَ في أُصول الفِقْه على مَذْهب أبي حَنيفة، / وأملَى المَسائِل وشَرَحَها ونَشرها، وبَثَّ علْمَ أبي حَنيفة في أقطار [١٦٧ب] الأرْض. وقال عَمّار بن مالِك: ما كان في أصحاب أبي حَنيفة مثلُ أبي يوسف؛ لَوْلَا أبو يوسف ما ذُكِر أبو حنيفة ولا محمد ابن أبي لَيْلَى، هو نَشَرَ قولَهُما، وبَثّ علْمَهُما.

.....

(١) الانتقاء ٣٣٠.

(٢) لم نقف على هذا النصّ في تاريخه. ونَقْل الصفدي كان مباشرة من وفيات الأعيان (٦/ ٣٧٩) الذي أثبته معزوّاً لانتقاء ابن عبد البرّ، وعنه أيضاً أخذ قولة ابن جرير الطبري.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وقال أبو يوسف: سألني الأعمش عن مَسْألة فأجبْتُه عنها، فقال لي: من أين لك هذا؟ فقلتُ: من حديثك الّذي حَدَّثْتناه أنت، ثم ذكرتُ له الحديثَ، فقال لي: يا يَعْقوب، إني لأحفظُ هذا قبل أن يَجْتمع أبواك وما عَرَفْتُ تأويلَه حتّى الآن.

وذكر المُعافَى بن زكريّاء في كتابِ الجَليس والأنيس[1]، عن الشّافعي، قال: مضَى أبو يوسف القاضي ليَسْمع المَغازي من محمّد بن إسحاق أو غَيْره، وأخلَّ بمجلس أبي حَنيفة أياماً، فلمّا أتاهُ قال له أبو حنيفة: يا أبا يوسف، من كان صاحب راية جالوت؟ فقال له أبو يوسف: إنّك إمامٌ وإنْ لم تُمْسِكْ عن هذا سألتُك على رُؤوس الملأ أيّما كانَ أولاً، واقِعَة بَدْر أو أُحُد، فإنّك لا تَدْري أيهما كان قَبْل الآخر، فأمْسَك عنه.

وقال أيضاً: كتب أبو يوسف يوماً كتاباً، وعن يَمينه إنسانٌ يلاحظه، ففطن له أبو يوسف، فلمّا فَرغ من الكِتاب التفتَ إليه وقال له: هل وَقَعْتَ على شيءٍ من خَطإٍ؟ قال: لا والله ولا حرفٍ واحد، فقال له أبو يوسف: جُزيتَ خَيْراً كَفَيْتَنا مَؤونَةَ قِراءته؛ ثم أنشد: [من السريع]

كـأنّـه مـن سُـوء تَـأديـبـه أُسْلِم فـي كُـتّـاب سُـوء الأَدَبْ

وقال بشر بن الوليد، وذكر حكايةً في أوّلها طولٌ، ومُلَخَّص ذلك: أنّ الرّشيد طلبَه في لَيْلة غير وَقْت طَلبه، فرَوَّعه ذلك، ولم يَزل إلى أن حَضر، فوجدَ الرشيدَ جالساً وعن يَمينه عيسى بن جَعْفر، قال، فقال الرّشيد: أتَدْري/ لم دَعَوْتُك؟ قال: دعَوْتُك لتَشْهد على هذا أنّ عندَه [١٦٨ آ] جاريةً سألتُه أن يَهَبَها لي فامتنع، وسألتُه أن يَبيعَها فامتَنع، والله لئن لم

.....

(١) أنيس الجليس ١/٤١٦.

يَفْعل لأَقْتُلَنَّه! قال: فالتفَتُّ إلى عيسى وقُلْتُ له: وما بلغ الله بجارية تَمْنَعُها أميرَ المؤمنين وتُنْزلُ نَفْسك هذه المنزلةَ؟! فقال: عجلتَ عليّ في القَوْل قبل أن تعرفَ ما عِنْدي، قلت: وما هو؟ قال: إنّ عليّ يميناً بالطّلاق والعتاق وصَدَقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجاريةَ ولا أَهَبها؛ فالتفتَ إليّ الرشيدُ وقال لَهُ: في ذلِك مَخْرج؟ قلتُ: نَعَمْ، قلتُ: يَهَبُ لك نِصْفَها ويَبيعُك نِصْفَها، فيكونُ لَمْ يَهَبْ ولم يَبع. فقال عيسى: ويَجوزُ ذلك؟ قال: نَعَمْ، قال: فاشهَدْ أنّي قد وهَبْتُه نِصْفَها وبعتُه نصفَها الباقي بمئةِ ألف دينار. ثم قالَ: الجاريةَ، فأُتِيَ بها وبالمال، فقال: خُذْها يا أمير المؤمنين، باركَ الله لك فيها. فقال الرشيد: يا يَعْقوب، بقيت واحِدةٌ، قال: وما هي؟ قال: هي مَمْلوكة ولا بُدَّ أن تُسْتَبْرَأ، ووالله إن لم أبِتْ الليلةَ معها أظنّ نَفْسي ستَخْرج! فقلت: يا أمير المُؤمنين، تعتقها وتتزَوّجها، فإنّ الحُرَّة لا تُسْتَبْرأ. قال: فإنّي قد أعتَقْتُها، فمن يُزَوّجنيها؟ فقال: أنا، فدَعا بمَسْرور وحُسين، فخَطب وزَوَّجها على عِشْرين ألف دينار، ودفَع إليها المالَ. وقال الرّشيد: يا يَعْقوب، انصرف، وقال لمسْرور: آحمِلْ إلى القاضي مئَتَيْ ألف دِرْهم وعشرين تَخْتاً من الثّياب. ثم إن عجوزاً دخلَتْ وقالت: إن بنْتَك تُقْريك السَّلام وتقول: والله ما وصَلَ إليَّ الليلةَ من أمير المُؤمنين غيرُ المَهْر الّذي قد عرفْتَه، وقد حملتُ إليك النّصف، فقال: رُدّيه، والله لا قَبلْتُه، أَخْرَجْتُها من الرِّقّ وزَوَّجْتُها أميرَ المُؤمنين وتَرْضَى لي بهذا! قال بِشْر بن الوَليد: فلم نزلْ نَطلبُ إليه أنا وعُمر حتّى قبلها، وأمر لي منها بألف دينار/ [١٦٨ب]، وممّا أمر له به أميرُ المؤمنين العُشْر.

وقال ابنُ مَعين: كنتُ عند أبي يوسف القاضي وجماعة من

أصحاب الحَديث وغَيْرهم، فوافَتْه هديّةُ أم جَعْفر احتَوَتْ على تُخوتٍ دِبِّيقِيّ ومُضْمَت وشَرْبٍ وطِيب وتَماثيل نَدٍّ وغَيْر ذلك، فذاكَرني رجلٌ بحديث رسول الله ﷺ: من أتَتْهُ هَديةٌ وعندَهُ قومٌ فهم شركاؤُه فِيها. فقال أبو يوسف: [أبي تُعَرّض؟! ذلك][1] إنّما قالَه رسولُ الله ﷺ والهَدايا يومئذٍ الأَقِطُ والتَّمْر والزَّبيب، ولم تكُن الهَدايا ما تَرَوْن، يا غُلام، شِلْ إلى الخزائِن.

وكان أبو يوسف راكباً يوماً وغلامُه يَعْدو وراءَه، فقال له رجلٌ: أتَسْتَحِلّ أن يَعْدو غلامُك وراءَك! لِمَ لا تُرْكبه؟ فقال: أيجوزُ عندَك أن أُسْلم غلامي مُكارياً؟ قال: نعم، قال أبو يوسف: فيَعْدو معي كما كان يَعْدو ولو كان مُكارياً.

وقال يَحْيَى بن عبد الصّمد: خوصِمَ الهادي إلى أبي يوسف في بُسْتانه، وكان الحَكَم في الظّاهر للهادي وفي الباطِن خلاف ذلك. فقال خَصْم أمير المُؤمنين: إنّ شهودَه شهدوا على حقّ، فقال الهادي: وتَرَى ذلك؟ فقال: قد كان ابنُ أبي لَيْلَى يَراهُ، فقال: اردد البستانَ عليه، وإنّما احتال عليه أبو يوسف لعلْمه أنّ الهادي لا يَحْلف.

وقال عليّ بنُ المُحَسّن التَّنوخي عن أبيه عن جَدّه: كان سبَبُ اتّصال أبي يوسف بالرَّشيد أن حَنَكَ بعضُ القُوّادِ في يَمينٍ، فطلَب فقيهاً يَسْتَفْتيه، فجيءَ إليه بأبي يوسف، فأفتاهُ أنّه لم يَحْنث، فوهَبَهُ دنانيرَ وأخذ له داراً بالقُرْب منه. ودخلَ القائد يوماً على الرّشيد فوجَدهُ مغموماً، فسأله عن السَّبب، فقال: شيءٌ من أمْر الدِّين أحْزَنني، فأتاه بأبي يوسف؛ قال

.....

(١) من سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥.

أبو يوسف: فلمّا دخَلْتُ إلى مَمَرٍّ بَيْن الدّور، رأيت فتًى حسناً عليه أَثَرُ المُلْك وهو في حجرةٍ محبوسٌ، فأَوْمأ إليّ بإصْبعه/ مُسْتَغيثاً فلم أَفْهم منه [١٦٩ آ] إرادَتَهُ؛ وأُدْخِلْت إلى الرَّشيد فقال: ما اسمُك؟ فقلتُ: يَعْقوب أصلح الله الأميرَ، فقال: ما تَقولُ في إمام شاهد رجلاً يَزْني؟ هل يَحُدُّه؟ فقلت: لا، فحينَ قلتُها سَجَدَ الرشيدُ، فوقَع لي أنّه رأى بعضَ أهله على ذلك، وأنّ الّذي أشار إليَّ بالاستغاثة هو الزّاني. ثم قال الرشيد: من أين قلتَ هذا؟ قلت: لأن النّبيّ ﷺ قال: ادْرَأوا الحدودَ بالشّبهات، وهذه شُبْهَةٌ يَسْقُط الحدُّ معَها. قال وأيُّ شُبْهة مع المُعاينة؟ قلت: لَيْس يوجب المعاينةَ أكثرُ من العِلْم بما جَرَى، والحدودُ لا تكون بالعِلْم، ولَيْس لأحدٍ أَخْذُ حَقّه بعِلْمه؛ فسَجد مَرَّةً أخرى وأمر لي بمالٍ جَزيل، وأن أَلْزَمَ الدّارَ. فما خرجتُ حتّى جاءتني هديَّةُ الفَتَى وهديّةُ أُمّه وجماعته، وصار ذلك أصلاً للنّعمة، ولزمت الدّارَ؛ فكان هذا الخادِمُ يَسْتَفْتي، وهذا يُشاوِرُني، ولم تَزَلْ حالي تَقْوَى حتّى قَلَّدني القضاءَ.

قال القاضي شمسُ الدّين أحمد بن خَلّكان[1]: وهذا يخالِف ما نَقَلْتُه أوّلاً في أنّه وَلِيَ القضاء لثلاثة من الخُلفاء. قلتُ: والحكايةُ الّتي جرتْ له مع الهادي في مُحاكَمَة البستان تَدلّ على أنه كان قاضياً أيام الهادي وهو أخو هارون الرّشيد، وكان خليفةً قبله. ولعلّ الحكاية الّتي آلَ الأمر فيها إلى أنْ وَلِيَ القضاءَ كانت مع المَهْدي والد الهادي والرّشيد، ويكون التّنوخي وهم في ذلك، أو النّاسخ، فجعلَ الرّشيدَ بدلَ المَهْدي وذلك مُمْكن.

وقال حَمّاد ابنُ أبي حَنيفة: رأيتُ أبا حنيفةَ يوماً وعن يمينه أبو

.....

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٣٨١.

يوسف، وعن يَساره زُفَر وهما يتحادثان[1] في مَسْألة، ولا يقول أبو يوسف قولاً إلّا أفسدَهُ زُفَر، ولا يَقول زُفَر قولاً إلّا أفسده أبو يوسف، إلى وَقْت الظُّهر؛ فلمّا أذّن المُؤذّن رَفع أبو حَنيفة يَدَهُ وضَرَب بها فَخِذَ زُفَر وقال: لا تطمعْ في/ رئاسةٍ ببَلْدَةٍ فيها أبو يوسف، وقضَى لأبي [١٦٩ب] يوسف على زُفَر، ولم يكُنْ أبو يوسف يُعَدّ في أصحاب أبي حنيفة مثل زُفَر.

ولما مات أبو يوسف وَلّى الرشيدُ مكانَه أبا البَخْتَري وَهْب بن وَهْب القُرشي، وقد تقَدَّم ذكْرهُ في حَرْف الواو مكانَه[2].

وقال أبو يَعْقوب الخريمي الشّاعر يَرْثيه وكان صديقاً له: [من السريع]

يا ناعِيَ الفِقْه إلى أهله ... أنْ مات يعقوبُ ولا تَذْري
لم يَمُتِ الفِقْهُ ولكنَّه ... حُوِّلَ من صَدْرٍ إلى صَدْر
أَلقاهُ يَعقوبُ إلى يوسفٍ ... فزال من طيبٍ إلى طُهْر
فهو مقيمٌ فإذا ما ثَوَى ... حَلَّ وحَلَّ الفِقْهُ في قَبْر

يُريد بذلك يوسف ابن أبي يوسف، وكان الشّاعر المذكورُ صديقاً لوَلَده يوسف أيضاً.

وكان في بَغْداد قد قَتَل مُسلمٌ ذِمّيًّا فحبَسه أبو يوسف ليَقيدَهُ مِنْه، فرُفِعَتْ إليه رُقعةٌ مَخْتومة فيها مكتوب: [من السريع]

يا قاتل المُسْلم بالكافرِ ... جُرْتَ وما العادِل كالجائِرِ

(١) في ت: يتحدثان.
(٢) الترجمة ٢٤ المتقدمة.

يـا مـن بـبـغْـدادَ وأقْـطـارهـا مـن عُـلَـمـاء الـنّـاس أو شـاعِـرِ
جـار عـلَـى الـدّيـن أبـو يـوسـفٍ بـقَـتْـلـه الـمُـسـلـم بـالـكـافـر
فـاسـتَـرْجِـعـوا وابْـلـوا جـمـيـعـاً مـعـاً واصْـطـبـروا فـالـحـكـمُ لـلـصّـابِـر ٣

فدَخل على هارون وأخبره الخبرَ، فقال: اذهبْ واحتلْ؛ فجلس أبو يوسف وجاءَ وليُّ الدَّم وادَّعَى، وقامت البَيِّنَة، فقال أبو يوسف لوَلِيّ الدَّم، أقِم البَيِّنَة عندي أنّ صاحبَك كان يُؤدّي الجِزْية، فلم تَقُمْ، فامتَنَع ٦ من القَوَد.

(٣٧٧) الغَزْنويّ المُجَوّد

يعقوب بن إبْراهيم، أبو يوسف الغَزْنويّ، صاحبُ الخَطّ المَليح ٩ /المَشْهور. توفّي سنةَ سَبْع وأربعين وخَمْس مئة. كان يَكْتُب على طَريقة [١٧٠ آ] ابن البَوّاب حتّى ضُرب بها المثل. قال الشّاعر: [من المجتث]

يـا مُـمْـرضـي بـجُـفـونٍ سَـقـامُـهـا لـي طَـبـيـبُ ١٢
كـأنّ صُـدْغَـك نـونٌ قـد خَـطَّـهـا يَـعْـقـوب

كان مقيماً برباط بَهْروز من بَغْداد، وله بَيْت في النِّظاميّة يُحَرّر فيه خُطوط الناس، وله على ذلك الجرايةُ الكافِية. ١٥

---

٣٧٧ ـ خبر وفاته في: الكامل لابن الأثير ١١/ ١٧٥ ونعته بالكاتب؛ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٣٠ وحلّاه بالخطاط الكاتب، وأنّه توفي بالمدرسة النظامية.
وأورد ياقوت ذكره في معجم الأدباء (٢/ ٩٤٠ (٣٣٥)) في ترجمة الحسن بن علي الجويني الكاتب، صاحب الخط المنسوب (٥٨٦هـ) فقال إنّه سمع جماعة من أهل الكتابة المتحققين بها يقولون: لم يكتب أحدٌ بعد أبي الحسن عليّ بن هلال بن البوّاب أجودَ من الجُويني، وكان أستاذه في الكتابة يعقوب الغزنويّ، كتب عليه ببغداد، إلا أنّه أبرَّ عليه وزاد، حتى لا تناسُب بين خطّيْهما.